دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.43].

دور الترجمة في التعريف بالإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية

مقاربة تاريخية

أ.د. زكريا صادق الرفاعي

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

كلية التربية – جامعة المنصورة

المنصورة – جمهورية مصر العربية

مُلَخّص

تسعى هذه الدراسة لرصد صفحة مهمة من تاريخ المثاقفة من خلال إبراز دور الترجمة في التعريف بالإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية منذ نشأتها، ففي وقت مبكر انهالت عليها العديد من الكتابات المترجمة عن لغات مختلفة حول الإسلام وجاءت من أوربا بصفة عامة وبريطانيا على نحو خاص، وأعيد طباعتها مرارًا في مناسبات مختلفة وتركت أثرًا باقيًا على المؤسسات والمجتمع الأمريكي. تم تقسيم الدراسة إلى عدة محاور، تعلق أولها برصد التواصل الحضاري بين الشرق والغرب في مطلع العصور الحديثة، وعالج المحور الثاني الترجمة في ظل الهجرة إلى العالم الجديد، بينما اهتم المحور الأخير بحصاد حركة الترجمة في التعريف بتراث الإسلام، وصدى ذلك على الظروف السياسية والاجتماعية والصفوة السياسة وكبار الكتاب والمثقفين، وحركة الترجمة النشطة في الولايات المتحدة طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي في الرصد والتحليل، فضلاً عن الاعتماد على المصادر التاريخية الرئيسة المتعلقة بفترة الدراسة. وقد توصلت الدراسة إلى أن الترجمة كانت هي حجر الزاوية التي اعتمدت عليها حركة المثاقفة بين الشرق والغرب، وجسدت أعمال وتراث مدرسة طليطلة وصقلية موجات هذا التواصل الحضاري المتعاقبة، ولدوافع دينية في البداية ثم دوافع سياسية واقتصادية، بدأت مسيرة الدراسات الإسلامية والعربية في أوربا وطبعت الكثير من عيون التراث الإسلامي، وانتقلت تلك التقاليد الثقافية في جملتها وفي مقدمتها الدراسات المترجمة من لغات عديدة إلى مستعمرات العالم الجديد.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث:	٠٧	أبريل	٢٠٢٣
تاريخ قبـول النشـر:	١٦	مايو	٢٠٢٣

كلمات مفتاحية:

الإسلام؛ الترجمة؛ المثاقفة؛ الولايات المتحدة الأمريكية؛ التاريخ الحضاري

معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/KAN.2023.333276

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

زكريا صادق الرفاعي. "دور الترجمة في التعريف بالإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية: مقاربة تاريخية".- دورية كان التاريخية.- السنة السادسة عشرة- العدد الستون؛ يونيو ٢٠٢٣. ص ٢١٥ – ٢٢٦.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: zbasel@mans.edu.eg
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورية كَان التَّارِيْخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةُ

يكاد يتفق الجميع على أن الترجمة ظاهرة قديمة قدم الإنسان نفسه، وكانت على مر العصور من أهم أدوات تواصل الحضارات (المثقافة) Acculturation[١] بين مختلف الأمم والشعوب، والترجمة في اللغة هي "نقل الألفاظ والمعاني والأساليب من لغة لأخرى"[٢]، والترجمة اصطلاحا تعنى التفسير والشرح، ولم تبدأ دراسة الترجمة بوصفها مبحثا أكاديميًا إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، ويعود الفضل في تدشين ما سمى بدراسات الترجمة Translation Studies، إلى الباحث الأمريكي جميس هومز في تدشين ما سمى بدراسات الترجمة[٣] وأحيانًا يطلق عليها " علم الترجمة " و"فقه الترجمة "، ومن ثم فلم تعد الترجمة ترفا فكريا يقوم البعض في نطاق العلم والأدب وحسب، وإنما أضحت دون تجاوز ضرورة حتمية لكل جوانب الحياة.[٤]

وبطبيعة الحال فإن الترجمة على تنوع حقولها المعرفية، هي إحدى الآليات الرئيسة التي اعتمدت عليها كثير من الدول النامية لفتح آفاق جديدة أمامها، وتجسير الهوة بينها وبين العالم المتقدم، وصارت الترجمة مؤشرًا يعتد به في تقدم الأمم والشعوب، وكانت مسيرة الحضارة الإسلامية في تاريخها الطويل صعودًا وهبوطًا مقرونة دوما بحركة الترجمة، فوصلت إلى أوج ازدهارها في العصر العباسي، ثم انحسرت في العصور التالية، ولم تعد مجددا إلا مع بواكير النهضة العربية الحديثة في القرن التاسع عشر[٥].

أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة لرصد صفحة مهمة من تاريخ المثاقفة من خلال إبراز دور الترجمة في التعريف بالإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية منذ نشأتها، ففي وقت مبكر انهالت عليها العديد من الكتابات المترجمة عن لغات مختلفة حول الإسلام وجاءت من أوربا بصفة عامة وبريطانيا على نحو خاص، وأعيدت طباعتها مرارًا في مناسبات مختلفة وتركت أثرًا باقيًا على المؤسسات والمجتمع الأمريكي.

عناصر الدراسة

تم تقسيم الدراسة إلى عدة محاور، تعلق أولها برصد التواصل الحضاري بين الشرق والغرب في مطلع العصور الحديثة، وعالج المحور الثاني الترجمة في ظل الهجرة إلى العالم الجديد، بينما اهتم المحور الأخير بحصاد حركة الترجمة في التعريف بتراث الإسلام، وصدى ذلك على الظروف السياسية والاجتماعية والصفوة السياسة وكبار الكتاب والمثقفين، وحركة الترجمة النشطة في الولايات المتحدة طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي في الرصد والتحليل، فضلاً عن الاعتماد على المصادر التاريخية الرئيسة المتعلقة بفترة الدراسة.

أولاً: التواصل الحضاري في مطلع العصر الحديث

كان التواصل الحضاري بين أوربا والمسلمين في العصور الوسطى واقعا تاريخيا ملموسا عن طريق التجارة التي تزايدت ونمت قبل الحروب الصليبية، حتى وصلت إلى مشارف بريطانيا وفنلندا والدنمارك، وكان الطريق التجاري البرى يمر بالقرب من بحر قزوين ونهر الفولجا، بينما امتد الطريق البحري ليصل إلى الموانئ الإيطالية مثل جنوة والبندقية، كما كان التوجه للحج إلى بيت المقدس من بين طرق التواصل المؤثرة بين الشرق والغرب، ولم تكن العلاقات طوال الحروب الصليبية قاصرة على الجوانب العسكرية فحسب، بل امتدت بطبيعة الحال إلى مختلف الجوانب الاقتصادية والاجتماعية[٦].

وكانت كل من إسبانيا ثم صقلية بحكم التواجد الإسلامي الطويل بهما، من مراكز التواصل الكبرى مع المدنية الإسلامية، وفي القلب منها الدراسات الإسلامية والعربية، فنشطت حركة الترجمة خاصة مساهمات مدرسة طليطلة (توليدو) المشهورة والتي ترجمت الكثير من نصوص العصور الوسطى بفضل تشجيع عديد الباحثين ودعمهم، ونشأ تاريخيا ما عرف بالمترجمين[٧]، حيث أنجز روبرت أوف كيتون Robert of Ketton أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم (أجمع العلماء على استحالة ترجمة كتاب الله الكريم ببلاغته، ومن ثم فالترجمة له هي للمعاني فحسب)[٨] من العربية إلى اللاتينية في عام ١١٤٢م بإشراف بطرس (المبجل) Peter The Venerable رئيس دير كلوني، ولم ينصرم القرن الثاني عشر قبل أن يظهر للوجود أول قاموس لاتيني عربي[٩]، كما ترجمت في تلك الفترة أيضًا كتابات الخوارزمي وأعماله[١٠]، والرازي خاصةً كتابه المعروف "بالحاوى "، كما ترجم كتاب " القانون

في الطب " لابن سينا بصورة متواترة حتى بلغت طبعاته في القرن السادس عشر نحو عشرين طبعه [١١]، وترجمت كتب إقليدس وبطليموس وجالينوس وهيوقراطيس مصحوبة بالتفسيرات التي وضعها لها العلماء العرب من العربية إلى اللاتينية ونشرت في مختلف أرجاء أوربا [١٢].

كانت تلك هي الظروف التي نشأ فيها ألفونسو العاشر (١٢٢١م-١٢٨٤م) الملقب "بالحكيم" فرغم خصومته السياسية مع المسلمين، كان منفتحًا على الثقافة الأندلسية، فجمع في بلاطه بين علماء المسلمين والنصارى واليهود، وشجع الترجمة عن العربية وأسس في إشبيلية معهدًا لاتينيًا عربيًا عمل فيه الجميع جنبًا إلى جنب، فكان تجسيدًا حيًا لفكرة المثاقفة داخل الأندلس وخارجها [١٣].

ومن الأهمية بمكان التذكير بأن موقف الغرب المسيحي خلال العصور الوسطى قد غلب عليه سمة الدفع والمشاحنة تجاه الإسلام في المقام الأول [١٤]، وقد لفت عبد الرحمن بدوى النظر إلى المعدل الرهيب على حد وصفه للأكاذيب التي ساقها الكتاب البيزنطيون والأوربيون حول سيرة الرسول (ﷺ) منذ اثنا عشر قرنًا، وكانت مصادرهم بعيدة عن المصادر الإسلامية الصحيحة، وأسيرة لما رددته الروايات المسيحية المبكرة التي اعتبرت الإسلام مجرد هرطقة [١٥]، وسعت جاهدة للنيل والطعن فيه، وقد رسخ ذلك في الأذهان صورة مشوهة وغير صحيحة عن الإسلام استمرت لقرون طويلة وامتدت من إنجلترا إلى نيو إنجلند في العالم الجديد [١٦].

ونظرًا لسياسات التطهير الديني والعرقي ضد المسلمين واليهود في إسبانيا، أضحت صقلية هي موئل الدراسات العربية، وعادة ما قسم المؤرخون دور مدرسة صقلية في الترجمة إلى مرحلتين، الأولى خلال حكم "روجر الثاني " (١١٤٠م- ١١٥٤م)، والثانية في ظل حكم ابنه "وليم الأول " (١١٥٤م-١١٦٦م) وفي صقلية تمت أول ترجمة لاتينية للمجسطى [١٧]، ولعل ما ميز حركة الإحياء والنهضة في إيطاليا بصفة عامة هو طباعة كثير من النصوص العربية بعد أن استطاع بجنانو (أحد مواطني فلورنسا) من طباعة الحرف العربي في عام ١٥٣٨م، وكان "حسن بن محمد أحمد الوزان" الذى عرف لاحقا بليون الإفريقي [١٨]، وهو أول من أدخل النصوص العربية في مكتبة الفاتيكان، كما وضع كتابا عن قواعد اللغة العربية، فضلا عن كتابه الأشهر " وصف أفريقيا" والذى ترجم إلى العديد من اللغات ومنها الإنجليزية في عام ١٦٠٠م، وصار مصدرًا مهمًا ومتواترًا عن الإسلام في أوربا [١٩].

وكانت أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم بالإنجليزية قد قام بها ألكسندر رس (١٥٩٢-١٦٥٤م) في عام ١٦٤٩م، ولم تكن مباشرة عن العربية بل كانت مأخوذة عن نسخة فرنسية (قام بها أندريه دى رير قنصل فرنسا في مصر) [٢٠] وكانت بعنوان " قرآن محمد" وظلت تلك الترجمة سائدة لأكثر من ثمانين عاما، و قد عكست إلى حد كبير مدى اهتمام بريطانيا بالإسلام خلال القرن السابع عشر [٢١]، وعندما طبع رس ترجمته ألحق بها فصلين هاجم فيهما بشدة موقف السلطات الحاكمة في بريطانيا لتقديمه للمحاكمة ومصادرة ترجمته وأوراقه، وكتب بصيغة واضحة أن " المسيحيين لو قرأوا باهتمام وتدقيق قوانين المحمديين وتواريخهم لخجلوا، إذ يرون مدى حماستهم لأفعال العبادة والتقوى و البر...فبينما يمارس المسلمون التقوى يبتعد الثوريون الإنجليز عنها بانحرافهم عن الكنيسة الوطنية. وبينما يعتنى المسلمون بفقرائهم تجد الفقر متفشيا في إنجلترا وويلز "، ورغم ما أبداه المترجم من تعصب في كثير من الأحيان، إلا أنه قد أظهر بوضوح الوجه الحضاري للإسلام والمسلمين، وطبعت ترجمته مرتين فيما بعد مما يعنى ذيوعها وانتشارها [٢٢].

والشاهد أن النصف الأخير من القرن السادس عشر قد شهد في بريطانيا زخمًا ونشاطًا متزايدًا لحركة الترجمة والنشر عن الإسلام واللغة العربية وتأسست كراسي الأستاذية لتدريس العربية في أكسفورد وكمبردج في ثلاثينيات القرن السابع عشر، وقد لاحظ البعض أنه منذ حصار العثمانيين لمدينة فيينا في عام ١٦٨٣م، زاد الاهتمام بترجمة معانى القرآن الكريم بعد أن كانت قاصرة على العلوم والفلسفة [٢٣]، كما نوه الكثيرون من الكتاب في إنجلترا وإسكتلندا إلى أهمية دراسة العربية كمدخل لدراسة اللغات السامية الأخرى مثل العبرية والآرامية وفهمها للوقوف على تراث العهد القديم، فضلاً عن أهميتها للسياسي والتاجر والرحالة والباحث، فقام المستعرب "وليم بدول" William Bedweel (١٥٦٢-١٦٣٢م) بإصدار أول كتاب نشر في إنجلترا بالعربية وتكون من قائمة بسور القرآن وأسماء " فهرس سور قرآن الأتراك كما هى مسماه بالعربية "، وقام إدوارد بوكوك Edward Pococke (١٦٠٤-١٦٩٢م) أستاذ العربية بأكسفورد

بترجمة سيرة للنبي معتمداً على أعمال ابن العبري، وكانت أول ترجمة ودراسة تقدم عن مصدر باللغة العربية، ثم صدرت أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم مباشرة من العربية للإنجليزية بواسطة جورج سال (١٦٩٦-١٧٣٦م) في عام ١٧٣٤م وكان لها صدى كبير، كما نشر سيمون أوكلى Simone Okely (١٦٧٨-١٧٢٠م) تاريخ المسلمين History of Saracens في نفس القرن (كان يطلق على المسلمين السراسنة – الهاجريون – المورو)[٢٤]، وحتى ذلك الحين لم يتوافر لمكتبة جامعة كمبردج نسخة من القرآن الكريم فتبرع وليم بدول بنسخته لها في عام ١٦٣١م [٢٥].

وقد لوحظ أنه كلما زادت وتيرة التوتر والخلافات بين الاتجاهات والمذاهب الدينية المتباينة في إنجلترا في القرن السابع عشر، زاد اللجوء في الوقت ذاته للنصوص الإسلامية وكثر الاستشهاد بالقرآن والمحمديين والترك، بل صار نموذج الدولة في الإسلام يحتذى به في الدعوة إلى الوحدة السياسية بين الفرقاء داخل بريطانيا [٢٦]، وتجدر الإشارة إلى أنه في أعقاب حركة الإصلاح الديني وانتهاء حرب الثلاثين عاما (١٦١٨-١٦٤٨م) واجه البروتستانت خطرا مزدوجا متمثلا من وجهة نظرهم في الكاثوليكية من جهة وقوة الدولة العثمانية من جهة أخرى، وقد أفضى ذلك بدوره إلى شيوع ما عرف بالكتابات الأخروية وقرب العودة الثانية للمسيح على نطاق واسع، بل عدوا ذلك تجسيدا لإرادة الله في حركة التاريخ، ومن مأثورات مارتن لوثر قوله آنذاك " إن مملكة المسيح الأخروية ستسود بعد القضاء على الأعداء الكاثوليك والمحمديين" [٢٧]، وفي تقدير البعض أن حركة الإصلاح الديني لم تنشأ عن بواعث عقلية بقدر ما اعتمدت على منطق ديني مشبع بالعواطف والحماسة الدينية، كما أنها لم تدعو إلى الحرية الفكرية كما هو شائع وإنما وجهت جل انتقاداتها إلى سلوك رجال الإكليروس في المقام الأول، بل إن البلاد التي شهدت حركات الإصلاح الديني توارث فيها الملوك نفوذ الكنيسة والبابوات وسلطانهم، وجمعوا بذلك بين السلطتين الزمنية والروحية معا مثل حكومة "جون كلفن" (١٥٠٩- ١٥٦٤م) في سويسرا[٢٨].

ثانيًا: الإسلام والترجمة في العالم الجديد

كان العامل الديني إلى جانب الدافع الاقتصادي من بين العوامل التي أدت إلى الهجرة للعالم الجديد، ففي الوقت الذى ارتفعت فيه الحماسة الدينية في إنجلترا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، دعت جماعة البيورتان إلى إصلاح المذهب الديني الرسمي من الداخل، واستكمال المذهب البروتستانتي في الكنيسة الوطنية، وتبسيط طقوس الصلاة والعبادة، وشكلت دعوة البيورتان الإصلاحية مع الوقت تهديدا للنظام السياسي القائم، ونظرا لعدم الاستجابة لهم ارتحلت جماعات صغيرة منهم إلى مدينة ليدن بهولندا لممارسة طقوسها الدينية بحرية، ولاحقا قرر أولئك الذين أطلق عليهم لقب " الحجاج" التوجه إلى العالم الجديد مؤسسين بذلك مستعمرة بليموث في عام ١٦٢٠م.

وعقب تولى شارل الأول (١٦٠٠-١٦٤٩م) العرش في عام ١٦٢٥م ومع اشتداد وطأة اضطهاد البيورتان، ارتحلت إلى العالم الجديد موجات أخرى، وعلى العكس من الموجة الأولى ضمت الثانية الكثيرين من ذوى النفوذ والثراء، وأسسوا مستعمرتهم على خليج ساتشوستس، ولم تنصرم أربعينيات القرن السابع عشر إلا وكان للبيورتان ست مستعمرات خاصة بهم في العالم الجديد، وكان لسياسة الاضطهاد التي اتبعها صغار الأمراء في الإمارات الألمانية أثرا مماثلا، فنشطت الهجرة منذ أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر [٢٩]، كما كانت مستوطنة سانت أوغسطين في فلوريدا هي أول مستوطنة أقامها الإسبان الكاثوليك في العالم الجديد في عام ١٥١٣ م، وكانت سابقة على المستوطنات البريطانية البروتسنتاتية، وتباعا ظهرت المؤسسات الثقافية مثل هارفارد في مساشتوستس في عام ١٦٣٦م، وفي نهاية القرن أسست كلية وليام ومارى في فريجينيا، وبعدها بسنوات قليلة جامعة ييل.[٣٠]

ومن الأهمية بمكان التذكير في هذا الصدد بالحضور الديني الجارف للمستوطنين الأوائل، وكان الاعتقاد السائد بين طوائف البروتسانت لا سيما جماعات البيورتان أن الله قد أوكل لهم مهمة خاصة ودورا بارزا في التاريخ، كما نادوا بالتطبيق الحرفي للكتاب المقدس وما ورد في العهد القديم، وقد نجح الجيل الثاني من البيورتان في فرض تقاليدهم وثقافتهم التي صارت لها الهيمنة على التراث القومي الأمريكي برمته، باعتبارهم قد جاؤوا إلي أمريكا لإقامة مملكة الرب على الأرض " [٣١]، ومن ثم فإنه من الصحيح القول بأن الدين والمجتمع قد ولدا معا في الولايات المتحدة في وقت واحد [٣٢]، ومن جهة أخرى فإن

العديد من المستوطنين كانوا من الرواد في الدراسات التوراتية، وبزغ نشاط الجمعيات الدينية في جنبات البلاد، وهى التي أسفرت لاحقا عن تنامى ما يعرف "الصهيونية المسيحية Christian Zionism". [٣٣]

ولم يكن العالم الجديد قاصرا على القادمين من أوربا وحدهم، بل وصل إليه كثير من المسلمين من إسبانيا وغرب أفريقيا مبكرا، ففي القرن الثاني عشر أشار الجغرافي العربي الشريف الإدريسي (١٠٩٧-١١٥٥م) إلى قيام مجموعة من البحارة بالإبحار من شمال أفريقيا إلى المحيط الأطلنطي، ومن المحتمل أن يكون هؤلاء قد وصلوا إلى جزر البهاما وجزر الأنتيل الصغرى، واللافت للانتباه هو شيوع اللغة العربية آنذاك في تلك الجزر بما يوحى بتكرار زيارات التجار والمغامرين العرب لها.[٣٤]

وشهدت تلك الفترة تجربة نقل العبيد عبر الأطلنطي للعمل في المستعمرات الجديدة خاصة مزارع السكر والتبغ والقطن [٣٥]، وكان من بينهم بعض من ذوي الأصول الإسلامية خاصة القادمين من غرب أفريقيا، وليس هناك تقدير دقيق يمكن أن يعتد به في هذا الصدد وفي نظر البعض فإن عددهم ربما وصل إلى عدة آلاف [٣٦]، كما أن ساحل الذهب المعروف حاليا بغانا كان موضع ارتياد التجار الأوربيين منذ القرن الخامس عشر، وصار في مطلع القرن السابع عشر بوابة كبيرة لتجارة الرقيق، ونقل العديد من العبيد المسلمين المنتمين لقبائل الهوسا إلى البرازيل [٣٧].

وقد كشف النقاب مؤخرًا عن كنز من العملات الذهبية تم العثور عليها في الشواطئ الجنوبية للبحر الكاريبي على شواطئ فنزويلا، عزاها المؤرخون للمستكشفين المسلمين عبر الأطلنطي (كانت العملات رومانية ترجع إلى القرن الرابع الميلادي، وبعضها كانت عملات عربية تعود إلى القرن الثامن الميلادي)، وأشار البعض إلى أن كولمبس قد اصطحب معه بعض المسلمين في رحلته [٣٨]، وقد برهنت الدراسات التي قام بها البعض مثل إيفان فام سرتيما Ivan Vam Sertima وأيضًا ألكسندر فون Alexander Von بشكل مباشر وغير مباشر على حقيقة الوجود الإسلامي المبكر بالأمريكيتين، كما استعان المستكشفين الأوائل بخرائط جغرافية لعلماء مسلمين [٣٩].

ورأى البعض أن وجود المسلمين في العالم الجديد كان سابقا على وجود المستعمرات البريطانية، فمستعمرة فلوريدا التي ظلت تحت السيادة الإسبانية خلال الفترة الممتدة من عام ١٥٦٣م الى ١٧٦٣م كان بها أغلبية كبيرة من الرقيق الأسود من بينهم مسلمون، وكان الحال نفسه في مستعمرة لويزيانا الفرنسية.[٤٠]

ثالثًا: ترجمة ذكريات الأسر وتجاربه

منذ أواخر القرن السابع عشر، افتتن سكان المستعمرات البريطانية في العالم الجديد بالقصص الرائجة عن ما سمى "بقراصنة البربر"، المتمثلة في تجربة الأسر والاحتجاز للعديد من التجار والبحارة الأوربيين والأمريكيين من قبل القراصنة في شواطئ شمال أفريقيا[٤١]، وتفاقم أثر تلك الظاهرة على نحو خاص في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر[٤٢]، ففضلاً عن تداعياتها العسكرية التي عرفت في الأدبيات الأمريكية باسم "حرب البرابرة"[٤٣]، فإن اليوميات التي نشرها بعض الأسرى عقب عودتهم عن تجربتهم ومعاناتهم تركت بالغ الأثر على الرأي العام تجاه الإسلام والمسلمين[٤٤].

وقد راجت في البداية النصوص المبكرة التي كتبها الإسبان والفرنسيون والإيطاليون وتمت ترجمتها، كما ظهرت أعمال أخرى مثل رواية جون فوكس، وإدوراد واب ووليام أوكلاى وتوماس سميث، وبعضها طبع أكثر من أربع طبعات مما أوضح مدى تتوق الرأي العام للقراءة حول الإسلام، فضلاً عما تمت ترجمته من لغات أخرى إلى الإنجليزية، وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن نظرة العنف التي صارت لصيقة بالإسلام انصرفت على نحو خاص إلى منطقة غرب البحر المتوسط نظرا لتواصل أعمال القرصنة، وإن كانت تلك النظرة أقل حدة بالطبع تجاه بقاع أخرى مثل تركيا وفارس والهند فكان بوسع الأجانب التنقل والعمل بأمان[٤٥].

وكانت من أوائل اليوميات التي نشرت في بريطانيا عن تجربة الأسر تلك التي أصدرها ريتشارد هاكلوت "Richard Hakluyt" عام ١٥٨٩ وقد أشار في يومياته إلى أن تجربة الأسر قد تكون مفيدة في تقديم معلومات ذات طبيعة استخبارية عن العالم الإسلامي حيث لا تزال هناك جوانب كثيرة مجهولة عنه[٤٦]، كما أن وليم أوكلى "William Okeley" قد أرسى نموذجًا ظل له صداه عن الأسرى الذين تم احتجازهم عندما نشر يومياته في عام ١٦٧٥م[٤٧].

وعادة ما كان ينظر سكان المستعمرات بهلع ورعب لتجربة الأسر التي مر بها بعض المواطنين من قبل "ما أسماه البعض "بالوحوش الأفريقية" و "المحمدين الترك والمغاربة "و" الشياطين الأشرار"[٤٨]، ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى وجود نموذج آخر مغاير لتجربة الأسر وان كان فيما يبدو محدودا وأقل ذيوعا بين أوساط الرأي العام، وقد أشاد فيها أصحابها بحسن المعاملة خلال فترة الأسر منها شهادة أحد رجال الدين الإسبان وهو " Bernardo de Monroy"، وقد أرسل عدة رسائل في ١٦ مايو ١٦١٢م من الجزائر أوضح فيها إعجابه بإدارة الترك والمغاربة وحرية الممارسات الدينية، ولعل الشهادة السابقة قد اكتسبت أهميتها باعتبارها صادرة عن أحد رجال الدين، وعلى النحو نفسه عبر "Jeronimo Gracian "في شهادة مماثلة حيث ظل بالأسر في تونس بين عامي ١٥٩٣ م و ١٥٩٥ م.[٤٩]

ومن أقدم الروايات الموضوعية أيضًا ما سجله الأسير توماس هاسليتون في سنة ١٥٩٥م، ونشرت روايته مرتين وكان أول من طرح فكرة: "أن غارات البحارة المسلمين ضد الملاحة المسيحية، لم تكن نتيجة العنف الديني أو رغبة في الغنائم، وإنما جاءت رغبة في الانتقام من القراصنة المسيحيين"[٥٠]، كما أبدى الترك والمغاربة بصفة عامة احتراما كبيرا تجاه الأسرى الإسبان مما أثار لدهشة المراقبين، وعادة ما قدموا لهم تبرعات للكنيسة مثل الشموع والزيوت، وتبرعوا لهم بالمال في الأعياد والمناسبات[٥١].

ومن بين الشهادات الجديرة بالذكر أيضًا في هذا الصدد ما ورد في رسائل القنصل الأمريكي في تونس "William Eaton " إلى زوجته في فبراير عام ١٧٩٩م، وقد أوضح فيها بصراحة كبيرة أن معاملة الأسرى المحتجزين من قبل البرابرة أكثر إنسانية مقارنة بالمعاناة التي يتجرعها العبيد الأفارقة من جانب سادتهم "المتحضرين في الولايات المتحدة"[٥٢]، وكانت ترجمات النصوص الأولى مشوبة نسبيًا بمشاعر الاضطراب والخوف بصورة واضحة، ولفت البعض الانتباه إلى قيام بعض الحكومات الأوربية بتشجيع الأسرى على كتابة يومياتهم ونشرها بهدف استغلال معاناتهم وتوظيفها في الدعاية لأغراضها السياسية، وفي الوقت نفسه سعى بعض الأسرى لتقديم أنفسهم على أنهم خبراء وعلى علم ببواطن الأمور في العالم الإسلامي ورهنوا أنفسهم في خدمة السلطات الحكومية.[٥٣]

وكثيرًا ما تم الخلط بين الإسلام والترك[٥٤]، كما أن التوسع العسكري العثماني أفضى بدوره إلى النظرة للإسلام باعتباره خطرا عسكريا وفي أحد النصوص المبكرة في عام ١٥١٩ م كتب أحدهم أن محمد هو نبي الترك وحتى عام ١٧٠٩ كان يُنظر للإسلام على أنه الدين التركي كما صار لصيقا أيضًا بأعمال القراصنة في شمال أفريقيا[٥٥].

وقد ذكر البعض أن هاجس الخوف من الإسلام كقوة جاذبة خلال الفترة الحديثة، كان سببا مباشرا في دعم الدعاية المسيئة للإسلام والمسلمين، ففي الوقت الذي شهدت فيه أوربا، تخلي بعض من مواطنيها عن المسيحية، لم يحدث بين المسلمين حالات تحول للمسيحية، إلا بعض الحالات النادرة المتعلقة بالأسرى المسلمين ممن تواجدوا في المناطق الأوربية.[٥٦]

ومن بين الترجمات المتعلقة بتجارب الأسر التي حظيت بالاهتمام، تجربة عمر بن سعيد وهو مسلم من أصول ثرية أرستقراطية، وتم اختطافه من موطنه في السنغال وبيع في عام ١٨٠٧ م في شارلستون جنوب كارولينا، وكان يسمى بفوتا تورو، ولفت الانتباه إليه بآدائه الشعائر الإسلامية وكتابته باللغة العربية، وفي عام ١٨٣١ م كتب سيرته الذاتية في نحو خمسين صفحة، وهى فيما يبدو أول وأقدم سيرة بالعربية لأحد العبيد المسلمين في أمريكا، ورغم دراسة "الآن أوستن" عنه، فقد تجاهلته الأوساط الأكاديمية، ولقى كتاب "سلفانى ضيوف" والذى عنوانه "خدام الرب، المسلمون الأفارقة المستعبدون في أمريكا" المصير نفسه، لأنه تحدى الفكرة السائدة وأثبت أن الأفارقة المسلمين كانوا متحضرين ولهم آدابهم وليسوا مجرد برابرة جاءوا من القارة المظلمة.[٥٧]

رابعًا: الترجمة وحضور التراث الإسلامي

كانت الثقافة الإنجليزية هي المهيمنة على أغلبية المستعمرات في العالم الجديد، وقد أوضح البعض أن أول كتاب طبع قبل الثورة الأمريكية، كان في ولاية بنسلفانيا وكان باللغة الألمانية، ورغم انتشار المطابع تدريجيا فإن ما تم إصداره كان ضئيلا مقارنة بما تم جلبه من مطابع لندن [٥٨]، وطوال القرنين السادس عشر والسابع عشر كانت المعرفة بالعالم الإسلامي مستمدة من الكتابات الأوربية

التي ترجمت إلى الإنجليزية وانتقلت بدورها إلى سكان تلك المستعمرات [٥٩]، وأعيد إنتاجها مرارا في مناسبات مختلفة [٦٠]، ومنذ أواخر القرن السابع عشر لم يعد الطابع اللاهوتي الجدلي هو السائد تجاه الإسلام، بل صارت النظرة أشمل وأرحب وتنحو إلى دراسة المجتمع الإسلامي وسبر غور السياق التاريخي لنشأته وتطوره والرغبة في التعايش معه، وربما ساهم في ذلك أن ظاهرة أسر واحتجاز الأسرى أخذت في التراجع وخفتت حدتها نسبيا، وكانت من بين الكتابات التي اتصفت بالموضوعية ما كتبه القنصل الأمريكي هودسون في عام ١٨٤٤ عن ذكريات عمله في شمال أفريقية وضمنها ترجمته لرحلة الحاج ابن الدين الأغواطي [٦١]، وشرعت بعض المجلات الأمريكية السيارة تنشر تدريجيا نتفا عن العالم الإسلامي [٦٢]، وترددت على آذان العامة أسماء المدن الإسلامية مثل استانبول وبغداد.

وكتب المؤرخ البريطاني الشهير إدوارد جيبون Edward Gibbon (١٧٣٧-١٧٩٤) معبرا عن إعجابه بشخصية النبي محمد (ﷺ) في الفصل الخمسين من كتابه "اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية" الصادر في لندن عام ١٧٨٨م، كما عالج جليوم الكسندر Guillaume Alexandre (١٧٣٥م- ١٧٨٧م) في كتابه نظرة على تاريخ العالم الحديث الصادر في عام ١٧٧٩م التوسع الإسلامي باعتباره ظاهرة تاريخية في المقام الأول [٦٣]، وكتب سفاري Savary صاحب الترجمة الفرنسية الثانية للقرآن الكريم، والتي أعيدت طباعتها مرارًا في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر "إن مختصر حياة محمد توضح ما له من مكانة محترمة.." [٦٤].

وكان من أبرز الأدبيات التي راجت كتاب همفرى بريدكس" Humphrey Prideaux " الذي صدر أولاً في لندن عام ١٦٩٧م وطبع مرارًا وبلغ عدد طبعاته نحو ثماني طبعات بحلول عام ١٧٢٣م، وليس هناك أحد في المستعمرات البريطانية إلا وسمع أو قرأ عن الكتاب وما تضمنه من مزاعم، وظهرت الطبعات الأمريكية أولا في فيلادلفيا في عام ١٧٩٦م ثم في فيرمونت في عام ١٧٩٨م أي خلال فترة المواجهات مع دويلات شمال إفريقيا، ورغم أن الكتاب مليء بالأخطاء والترهات فقد ترك أثرا بالغا على المستوطنين تجاه الإسلام والمسلمين [٦٥].

وعلى نفس الشاكلة ذاع أيضًا في العالم الجديد كتاب "حياة محمد" للكاتب بوليان فيلير "villiers Boulain " الذى ظهرت ترجمته الإنجليزية في لندن عام ١٧٣١م، وبدا أكثر إيجابية من العمل السابق، بل كان ردا عليه في كثير من الأحيان، وتبني وجهة نظر الكنيسة الكاثوليكية التي سادت في أوائل القرن الثامن عشر إزاء الإسلام، ووجه لوما شديدا إلى ما اعتبره فساد الكنائس الشرقية التي حرفت المسيحية محملا إياها المسئولية في النهاية عن انتشار الإسلام، وقصارى القول أن المؤلف لم ير في الإسلام تهديدًا على المسيحية، ومن المرجح أنه لم تكن هناك طبعة أمريكية للكتاب رغم ظهوره ضمن قوائم سجلات مكتبة فيلادلفيا العامة في عام ١٧٤١م.[٦٦]

وفي القرن التاسع عشر بدأت الجامعات الأمريكية تهتم بالدراسات الشرقية، فظهر قسم لدراسات الشرق الأوسط بجامعة نيويورك منذ نشأتها في عام ١٨٣١م، كما درست بها العربية والفارسية والعبرية كلغات شرقية منذ عام ١٨٣٧م، وتأسست الجمعية الشرقية في الولايات المتحدة في عام ١٨٤٠م، وأرسلت الباحثين لشراء المخطوطات وجمعها من أرجاء العالم الإسلامي وصارت جامعة بريستون تمتلك ثاني أكبر مجموعة مخطوطات إسلامية، وظهرت أول طبعة للقرآن الكريم (قرآن محمد) The Koran, Commonly Called The Alcoran of Mohammed في الولايات المتحدة في سبرنج فيلد في ولاية ماساشوستس في عام ١٨٠٦م.[٦٧]

وتجدر الإشارة في هذا المقام التنويه برحلة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله البغدادي الدمشقي إلى البرازيل في عام ١٨٦٦م، ومكث بها أكثر من عامين، وكان الشيخ البغدادي إمامًا بالبحرية العثمانية في عهد السلطان عبد العزيز الأول (١٨٣٠م-١٨٧٦م)، وطلب مرافقة إحدى السفن المتجهة إلى البصرة عن طريق رأس الرجاء الصالح، وقد تعرضت السفينة إلى عواصف قوية واتجهت بعيدا حتى وصلت إلى شواطئ البرازيل، وترك الشيخ مشاهداته وتجربته مع المسلمين هناك في مخطوطته المعروفة بعنوان " مسلية الغريب بكل أمر عجيب"، وقد ترجمت إلى التركية وتم تحقيقها ونشرها أكثر من مرة، وكان من بين ما ذكره الشيخ البغدادي ما كتبه الكونت "جوزيف آرثر دو كوبينو الدبلوماسي الفرنسي في البرازيل خلال الفترة من عام ١٨٦٠م إلى عام ١٨٨٠م، أن تجارة الكتب كانت مزدهرة، وكان الفرنسيون يبيعون للمستعبدين والذين نالوا حريتهم

مائة نسخة من القرآن الكريم، إضافة إلى كتب قواعد اللغة العربية وشروح لها بالفرنسية.[٦٨]

خامسًا: ترجمة سال ومصحف جيفرسون

كان الآباء المؤسسون على وعى تام بالوجود الإسلامي في أمريكا، لا سيما وأن وبعضهم عمل لديه في مزارعه الخاصة الكثير من العبيد من ذوى الأصول الأفريقية وكانوا في الأغلب الأعم من المسلمين، وكانوا منتشرين في كثير من الولايات مثل فريجينيا وفلوريدا وجنوب كارولينا وجورجيا، وبعضهم هرب إلى بنسلفانيا[٦٩]، وقد نوه كثيرون بالانتشار السريع للإسلام في الداخل الأمريكي آنذاك خاصة بين قبائل الإركوس والشيروكى، وقدر البعض أن خمس العبيد الذين جاءوا من أفريقيا إلى الولايات المتحدة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كانوا مسلمين.[٧٠]

وكان توماس جيفرسون (١٧٤٣م-١٨٢٦م) الرئيس الأمريكي الثالث أكثر من أثار الجدل بين الباحثين حول معرفته الوثيقة بالإسلام، ومن المعروف أنه قد درس القرآن والشريعة الإسلامية على ما يبدو بحكم دراساته القانونية ومقارناته بين مختلف الشرائع[٧١]، وقد ذكر أنه اقتنى نسخة من ترجمة سال لمعاني القرآن الكريم في عام ١٧٦٥م، وهو ما زال طالبًا في كلية الحقوق،[٧٢] وربما كانت مكتبة جيفرسون الخاصة هي الأكبر آنذاك وكانت لاحقًا عقب انتقالها من فيلادلفيا إلى واشنطن نواة لمكتبة الكونجرس التي بدأت كمكتبة قانونية في المقام الأول[٧٣].

وقد بدا أثر معرفة جيفرسون الواضحة بالإسلام في كتاباته وخطبه، ولعل أهمها فضلا عن مساهمته في وضع وثيقة الاستقلال، اقتراحه الذى أسست مسودته لقانون الحرية الدينية لولاية فريجنيا في عام ١٧٨٦م The Statute of Virginia for Religious Freedom بقوله أنه " لا البوذيين ولا المحمديين ولا اليهود يحرمون من حقوقهم المدنية في الاتحاد بسبب الدين "، وألمح البعض أيضًا إلى تأثر جيفرسون في شبابه بالفيلسوف جون لوك (١٦٣٢م-١٧٠٤م) ورسالته عن التسامح التي وصفها بأنها كادت أن تبلغ حد الكمال [٧٤]، وكان لمبدأ الحرية الدينية أهمية بالغة آنذاك، لا سيما وأن الكثيرين من رجال الدين البيورتان مثل روجر ويليام وجونثان إدوارد وجورج ويتفيلد، قد استخدموا نفوذهم لتعبئة الرأي العام ليس فقط ضد غير المسيحيين ولكن أيضًا تجاه المذاهب المسيحية الأخرى مثل الكويكر والأنجليكان والكاثوليك [٧٥]، وكان ذلك الإنجاز موضع فخر توماس جيفرسون إلى جانب تأسيسه لجامعة فيرجينيا.

وقد شاطر وجهة نظر جيفرسون سائر الآباء المؤسسين، ففي عام ١٧٣٩م سجلت إحدى الوثائق رؤية بنيامين فرانكلين (١٧٠٦م-١٧٩٠م) تجاه الحرية الدينية للجميع بقوله، أن جميع دور العبادة يجب أن تظل مفتوحة أمام الجميع بما فيها الديانة الإسلامية، ولهذا بالطبع أهميته لأنه كان أحد المشاركين مع توماس جيفرسون في صياغة وثيقة الاستقلال في عام ١٧٧٦م، فضلا عن مشاركته في صياغة الدستور الأمريكي في عام ١٧٨٧ م، وهكذا كان المسلمون موضع ترحيب منذ البداية، وقد ظل بنيامين فرانكلين وفيا لقناعاته الفكرية حتى النهاية، وقبيل أسابيع قليلة من وفاته كتب في خطابه إلى عزرا ستيلز Ezra Stiles رئيس كلية ييل (جامعة ييل فيما بعد) مؤكدًا له أنه دائما ما يحترم عقائد الآخرين، حتى وإن بدت غير منطقية.

أما جميس مادسون (١٧٥١م-١٨٣٦م) الرئيس الرابع والملقب بأبي الدستور، فقد ساهم في الحفاظ على تراث توماس جيفرسون، وفي اجتماع الكونجرس في فريجينيا في عام ١٧٨٥م وزع منشورًا حذر فيه من مغبة التعصب الديني، وذكر الجميع بأن أهم ما يميز أمريكا دومًا هو المساواة والحريات الكاملة، وهذا هو ما جنبها إراقة الدماء، كما أشار في أحد رسائله في عام ١٧٨٨ إلى أن زيادة الوعي بالحقوق سيكون مدعاة للتقارب لعدم اضطهاد أحد مثل المسلمين واليهود.[٧٦]

ولم يترك تراث الإسلام أثرًا على الآباء المؤسسين والدستور فقط، بل خلف أيضًا في تقدير البعض منذ وقت مبكر أثرا باقيًا على الأدب الأمريكي بوجه عام في القرن التاسع عشر، ودلل على ذلك بديوان والت ويتمان" (١٨١٩م-١٨٩٢م) الصادر بعنوان "أوراق العشب" وقصيدته "أغنيتى أنا كنقطة بدء"، وفيها وصف الشاعر نفسه أنه يتدبر روحانية القرآن الكريم[٧٧]، وعلى نفس المنوال ظهرت كتابات واشنجتون إرفنج (١٧٨٣م-١٨٥٩م) خاصة كتابه (حياة محمد) الذى يُعَدّ من أفضل التراجم التي كتبها المستشرقون، وكان موضوعيا في عرضه للحقائق والأحداث، فابتعد عن القدح والتعريض والروح الصليبية التي سادت عند غيره، وصدرت له أعمال أخرى

منها "غرناطة" في عام ١٨٢٩م، و"الحمراء" في عام ١٨٣٢م[٧٨].

كما بدا حضور تراث الإسلام بقوة لافتة للانتباه في أعمال ليديا ماريا شيلد Lydia Maria Child (١٨٠٢م-١٨٨٢م) الكاتبة والصحفية والداعية لحقوق المرأة، ومن أشد أنصار تحرير العبيد وكان لها نفوذ معروف في الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر، وكان من أهم أعمالها كتاب تقدم الفكر الديني عبر العصور المتعاقبة في ثلاثة أجزاء، وخصصت في الجزء الثالث فصلاً عن الإسلام بعنوان "المحمدية" Mohammedanism، وعلى عكس معاصريها اتجهت إلى ترجمة بعض آيات القرآن الكريم كشواهد في أعمالها، وقد وجدت هوامش بخطها على نسخة سال المترجمة لمعاني القرآن الكريم، وعكست تلك الهوامش رغبتها ليس فقط في فهم النص القرآني ولكن في سعيها أيضًا لمعرفة التقاليد والعادات العربية.[٧٩]

وأشادت شيلد بنظرة الإسلام للمرأة باعتبارها شريكا في الحياة، إضافة إلى ضمانه لحقوقها المادية المستقلة في الملكية الخاصة، وكان ذلك محطة مهمة في مسيرة كفاح المرأة لنيل حقوقها وممارستها، كما حرصت على الاستشهاد بالآيات التي أنصفت النساء، وحثت الرجال على تقوى الله وحسن معاملة النساء، بل إنها اعتبرت أن القرآن الكريم كان أكثر انحيازًا لحقوق النساء مما جاء في حقوق الإنسان والدستور، وأشارت بوضوح إلى أنه قبل الإسلام كانت الفتيات كما مهملا في الأسرة على هامش حياتهم.[٨٠]

وباعتبارها من الداعين لإلغاء العبودية، عبرت شيلد في مواضع متفرقة عن موقف الإسلام الإيجابي من الرقيق والدعوة إلى الرفق بهم وحسن معاملتهم والترغيب في عتقهم، واستعانت في هذا الصدد بالتراث النبوي الشريف وبالأحاديث النبوية التي دعت إلى الرفق بالعبيد رجالاً ونساء، والمعنى الكامن من تلك الشواهد أن أمريكا (المسيحية) ليست هي وحدها أرض الحريات، وبصفة عامة وعلى خلاف الصور والمزاعم السيئة التي لحقت بسيرة الرسول (ﷺ) في الفترات المبكرة من تاريخ العالم الجديد، فقد رسمت شيلد صورة إيجابية مغايرة للنبي محمد فهو ودود وأمين وعادل وكريم مع أصدقائه ونصير للفقراء.[٨١]

وقد لوحظ فيما بعد أن المصادر التي اعتمدت عليها شيلد هي المصادر ذاتها التي اعتمد عليها واشنطن إرفنج، وقد أورد كلاهما نفس الصفات عن الرسول (ﷺ)، ومن ثم كان عملهما دفاعا بشكل غير مباشر عن الإسلام ونفيا للصورة السلبية التي نسجت عنه باعتباره مجرد هرطقة، ومن ثم فإن رموز الأدب الأمريكي قد كتبوا عن الإسلام وعن النبي (ﷺ) خلال تلك الفترة التي أطلق عليها عصر الإحياء أو البعث الأمريكي بعد انتهاء الحرب الأهلية في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، وهكذا عاد الغرب إلى الشرق مجددًا عبر أوربا.[٨٢]

وكان مدهشا أيضًا أن بعض الصحف المحلية المتوسطة وربما محدودة الانتشار في القرن التاسع عشر تحدثت عن الإسلام، فكتبت جريدة Fayetteville Observer وهي صحيفة صغيرة كانت تصدر في ولاية تنيسى، ونشر فيها بتاريخ ٢٩ يناير ١٨٥٧م مقال لمجهول بعنوان "حقائق شيقة حول القرآن"، تضمن عرضًا موجزًا عن تاريخ الإسلام ودعوته إلى الوحدانية، واعترافه باليهودية والمسيحية، وأشار الكاتب إلى اعتماده على ما كتبه المؤرخ المعروف إدوراد جيبون[٨٣].

كما عرضت صحيفة محلية أخرى وهى صحيفة The Vermont Watchman and State Journal وهى أسبوعية للإسلام، فكتبت بتاريخ ٢٣ يناير ١٨٥٧ م مقالة بعنوان "الخيل عند العرب"، وافتتحت المقالة بضرورة الإشارة والتمهيد إلى ما جاء في القرآن الكريم عن الخيل فترجمت بعض آيات سورة العاديات، اعتمادا على حد قولها على ترجمة فرنسية سابقة.

ويمكن القول بأن استشهاد الصحف المحلية وكثير من الكتاب بالتراث الإسلامي، كان حاضرًا بعفوية ودون ضجيج بما يعنى أنه أمر شائع ومتداول بين عامة الناس، ففي ٥ أغسطس عام ١٨٤٨م نشر رالف والدو إيمرسون Raplh Waldo Emerson (١٨٠٢م-١٨٨٢م) مقالة عن الشهرة في جريدة The Examiner وهى صحيفة صدرت في لويسفيل في ولاية كنتاكى، وورد في سياق حديثه أننا لو سألنا باعة الكتب عن أكثر الكتب مبيعا في المكتبات لكانت الإجابة هي، الإنجيل والقرآن وأعمال شكسبير[٨٤]، وما هو جدير بالذكر أن إيمرسون قد تجول في رحلات أوربية، وكان من بين أصدقائه الكاتب والفيلسوف الاسكتلندي توماس كارليل (١٧٩٥م-١٨٨١م) المتأثر بدوره

بالأدب الألماني، خاصة جوته وشيلر، وسعى لتطبيق آرائهما عن المثالية في دراسته المعروفة عن البطولة والأبطال في التاريخ[٨٥].

خَاتِمَةٌ

كانت الترجمة هي حجر الزاوية التي اعتمدت عليها حركة المثاقفة بين الشرق والغرب، وجسدت أعمال وتراث مدرسة طليطلة وصقلية موجات هذا التواصل الحضاري المتعاقبة، ولدوافع دينية في البداية ثم دوافع سياسية واقتصادية، بدأت مسيرة الدراسات الإسلامية والعربية في أوربا وطبعت الكثير من عيون التراث الإسلامي، وانتقلت تلك التقاليد الثقافية في جملتها وفي مقدمتها الدراسات المترجمة من لغات عديدة إلى مستعمرات العالم الجديد.

وبدت الترجمة في التاريخ المبكر للعالم الجديد تجاه الإسلام والمسلمين قاتمة وسلبية، خاصة ما صاحب ترجمات ذكريات الأسر وتجاربه من مبالغات، باعتبارها أحد أدوات الصراع الاقتصادي البحري آنذاك، وتدريجيًا اختفت نسبيًا تلك الصورة واتجهت الترجمات المتعلقة بالعالم الإسلامي إلى جوانب تاريخية واجتماعية، وتوارى الجدل والصخب الديني مفسحًا المجال لرؤية أكثر إنصافًا للإسلام والحضارة الإسلامية.

وكانت ترجمة جورج سال لمعاني القرآن الكريم في عام ١٧٣٤م من أكثر الترجمات حضورًا وأثرا في العالم الجديد، ولم يكن صداها قاصرا فحسب على الساسة ورجال القانون، بل تركت أثرًا مماثلاً هي وغيرها على أعلام الأدب الأمريكي في القرن التاسع عشر، ورغم تباين الظروف والمجتمعات استمرت موجات الترجمة تعيد إنتاج نفسها، فما كتبه المستشرق الأمريكي واشنطن إيرفنج عن "حياة محمد"، وجد من ترجم له بعد حين في العالم الإسلامي، فكانت ترجمة المؤرخ المعروف على حسنى الخربوطلى (١٨٩٢م-١٩٥٦م) للكتاب، وما كتبه توماس كارليل عن البطولة والأبطال ترجم مرارا في العالم العربي والإسلامي، وما كتبه إيرفنج ترك صدى في كتابات المستشرق ستانلي بول (١٨٥٤م-١٩٣١م) الذى كتب عن الوجود الإسلامي في إسبانيا، وعلى نفس الشاكلة تصدى على الجارم (١٨٨١م-١٩٤٩م) ليترجم عمل بول إلى اللغة العربية بعنوان "قصة العرب في إسبانيا"، ومن ثَمَّ فإن موجات الترجمة ما برحت تقوم بمهامها في التثاقف بين الشرق والغرب عبر العصور.

الاحالات المرجعية:

(١) الواقع أن مصطلح المثقافة متعدد الدلالات واستخدم في سياقات متباينة فهو بحسب رؤية الباحث الفرنسى " مشيل دوكستر " Michel De Coster " مجموع التفاعلات التي تحدث نتيجة شكل من أشكال الاتصال بين الثقافات المختلفة كالتأثير والتأثر، وغيرها من عمليات التمثل الفكري، مما يؤدى إلى جوانب جديدة في طرق التفكير ومعالجة القضايا وتحليل الإشكالات"، وأشار الفونس دييرو Alphonse Dupront إلى "أن المثقافة هي حركة فرد أو جماعة، أو حتى مجتمع من ثقافة نحو ثقافة أخرى حتى يتأسس حوار بين الثقافتين وتتم إفادة الدروس المتبادلة"، وأكد على نفس المعنى روجيه باستيد Roger Bastide فذكر أنها دراسة لمعظم الإجراءات التي تحدث عندما تتصل ثقافتان فيما بينهما فتؤثر الواحدة في الأخرى"، راجع، نصيرة علاك، **حلول مصطلح المثاقفة على الثقافة العربية الراهنة، إشكالية التأصيل**، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العدد ٥٥، ٢٠١٩، ص ٣٣ -٣٩.

(٢) جاء في لسان العرب: ترجم الترجمان، والترجمان المفسر للسان... والجمع تراجمة، وترجم الكلام: فسره بلسان آخر، راجع، ابن منظور، **لسان العرب**، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، ص ٤٢٦.

(٣) منة الله محمود عارف، **دراسات الترجمة، النشأة والتطور**، عالم الفكر، أكتوبر – ديسمبر ٢٠١٩، ص٤٩-٥٠.

(٤) عبد السلام بنعبد العالي، **الترجمة والمثقافة**، الوحدة، السنة السادسة، العدد ٦١-٦٢، المجلس القومي للرباط، المغرب، ١٩٨٩، ص٨.

(٥) بسام بركة، **الترجمة إلى العربية: دورها في تعزيز الثقافة وبناء الهوية**، تبين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ٢٠١٢، ص٩٣-٩٤.

(٦) ألبرت حوراني، **الإسلام في الفكر الأوربي**، ١٩٩٤، الأهلية للنشر والتوزيع، ص ١٠-١١ ، وأيضًا، ص١٦-١٧ ، فؤاد شعبان، **أعمال الرحالة والمبشرين في العالم العربي، (١٨٠٠-١٩١٥) تحليل وصفى**، ضمن عبيد بن على بن بطي (محررًا)، **كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور**، أبوظبي، ١٩٩٦، ص٢٤٠-٢٤١ ، وكذلك، على النملة، **المستشرقون والتنصير، دراسة للعلاقة بين ظاهرتين مع نماذج من المستشرقين المنصرين**، د.ت، ص٦، الطيباوي عبد اللطيف، **المستشرقون الناطقون بالإنجليزية، دراسة نقدية**، ترجمة وتقديم، قاسم السامرائي، الرياض، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩١، ص١٨ عبد اللطيف الطيباوى، **محاضرات في تاريخ العرب والإسلام**، ج٢، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٦، ص ١١٥-١١٦.

(٧) محمد عوني عبد الرؤوف، **تاريخ الترجمة العربية بين الشرق العربي والغرب الأوربي**، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ص ١٧٧.

(٨) في قوله تعالى في سورة الزخرف "إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا"، تعنى أن كل ترجمة، ليست أكثر من تفسير لمعاني القرآن الكريم، ولكنها ليست القرآن نفسه، المرجع السابق، ص ٣٧-٣٨.

(٩) رودى بارت، **الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية**، ترجمة مصطفى ماهر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١، ص١٤.

(10) Ian Jenkins, Writing Islam: Representations of Muhammad Quran and Islamic Belief and The Construction of Muslim Identity in Early Modern Britain, Cardiff University, 2007. p.35.

(١١) مونتجمرى وات، **فضل الإسلام على الحضارة الغربية**، نقله إلى العربية حسين أحمد أمين، الطبعة الأولى، دار الشروق، ١٩٨٣، ص ٥٥-٥٦، عبد اللطيف الطيباوى، مرجع سابق، ص ١١٧.

(١٢) فهمي توفيق مقبل، **دور العرب والمسلمين في اكتشاف العالم الجديد**، الطبعة الأولى، عمان، ٢٠٠٤، ص ٥٤-٥٥.

(١٣) عبد اللطيف الطيباوى، مرجع سابق، ص ١١٧-١١٨.

(١٤) رودى بارت، مرجع سابق، ص ١٥، وكان من بين توصيات مجمع فيينا الكنسي في عام ١٣١١م الدعوة إلى إنشاء كراسي لتدريس العبرية واليونانية والعربية والآرامية في الجامعات الأوربية.

(١٥) المستشرقون، ص ٣٢، وقد أنشئ أول كرسي لدراسة العربية في فرنسا في عام ١٥٤٩م.

(١٦) نبيل مطر، مرجع سابق، ص، ٢١٢، مونتجمري وات، مرجع سابق، ص ٩٩-١٠٠، ونيو إنجلند هي التسمية التي أطلقها الكابتن جون سميث على مستعمرة فريجينيا، انظر، **موجز تاريخ التاريخ الأمريكي**، ص، ١.

(17) Daniele Molinini, The Frist Sicilian School of Translators, Nova Tellus, Vol,27, N.1. Mexico. 2009.

(١٨) تحول إلى المسيحية عقب أسره من قبل بعض القراصنة الإيطاليين في عام ١٥١٨م، ثم عاد لاحقًا للإسلام بعد عودته للمغرب.

(19) Ibid, Pp.36-37.

(20) Ian Jenkins, Op,Cit, Pp.38-39.

(٢١) نبيل مطر، **الإسلام في بريطانيا ١٥٥٨-١٦٨٥**، ترجمة بكر عباس، مراجعة إحسان عباس، المجلس الأعلى للترجمة، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٠٩.

(٢٢) المرجع السابق، ص١١٥-١١٦.

(٢٣) محمد عوني عبد الرؤوف، مرجع سابق، ص١٨٤-١٨٥.

(٢٤) محمد عبد الله الشرقاوي، **الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام**، دار البشير، القاهرة، ٢٠١٦، ص٨٤.

(٢٥) نبيل مطر، مرجع سابق، ص١١٨-١١٩.

(٢٦) المرجع السابق، ص١٣٧.

(٢٧) نبيل مطر، ص٢٠٧.

(٢٨) توفيق الطويل، **قصة النزاع بين الدين والفلسفة**، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٨، ص٤٠-٤١.

(٢٩) **موجز التاريخ الأمريكي**، ص٤-٥.

(٣٠) المرجع السابق، ص١٤.

(٣١) **أعمال الرحالة والمبشرين**، ص٢٢٣-٢٢٤، رضا هلال، **المسيح اليهودي ونهاية العالم**، المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٠، ص١١.

(٣٢) جان بيار فيشو، **الحضارة الأمريكية**، ترجمة خليل أحمد خليل، بيروت، دار الفكر اللبناني، ١٩٩٢، ص٦٦.

(33) John Barrett. International Politics, American Protestant Missions and The Middle east, Baylor Uni. 2012. Pp.51-52.

(34) Nadia B. Ahmad, The Islamic Influence In (pre) Colonial and Early America: A histrico-Legal Snapshot, Seattle Journal for Social Justice, Vol.12.. 2014,Pp,922-923.

(35) John Ralph Willis, Islamic Africa "Reflections on The Servile Estate, Studia Islamica, No,82,1980, p.148.

(36) A.Gomez, Michael. Muslims in Early America. The Journal of Southern History.Vol.60. No.4. Nov.1994.p.682

(37) Muslims in Early America, Pp.680-681

(38) Ibed, p.924.

(39) Ibed, p,925.

وقد قدر البعض أن عدد المسلمين من العبيد الأفارقة في الولايات المتحدة حوالي أربعين ألفًا، وأن إجمالي عددهم في محيط أمريكا الشمالية والجنوبية والكاريبي حوالي ثلاثة ملايين، ووجود بعض النقوش والكتابات العربية محفورة على بعض الصخور في ريو دى جانيرو وغيرها من سواحل البرازيل وأمريكا اللاتينية.

(40) Muslims in Early America, Pp,683-684.

(٤١) في عام ١٧٩١م وحدها تمكن الجزائريون من أسر ١١ سفينة أمريكية على متنها ١٠٩ بحار، راجع، قرباش بلقاسم، **الأسرى الأوربيون في الجزائر خلال عهد الدايات (١٦٧١م- ١٨٣٠م)**، رسالة دكتوراه، جامعة مصطفى إسطمبولي، ٢٠١٦، ص١٥٧.

(42) Robert Battistini. Glimpses of The Other Before Orientalism, The Muslim World in Early American Periodicals ,1785-1800, Early American Studies, Spring.2010. p.447

(٤٣) وقعت حرب البرابرة الأولى بين عام(١٨٠١م-١٨٠٥م) والثانية عام ١٨١٥م، حيث فرضت دويلات شمال إفريقيا (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وكانت سيادة الدولة العثمانية عليها سيادة اسمية) رسوم على السفن مقابل حمايتها من القرصنة، وكانت الدول الأوربية قد تقبلت ذلك، ولكن تلك الترتيبات اختلت بعد قيام الثورة الأمريكية، وكان من بين نتائج تلك الحرب امتلاك أمريكا لأسطول بحري قوى وتلاشى دور دويلات الساحل الأفريقي، راجع:

Unsettling The Nation: Anti- Jeffrey H.Solomon.
Colonial Nationalism And
Narratives of The Non-Western World In U.S
Literature And Culture,1783-1860.University of
Southern California.2011.pp.175-177.

(44) American Christians and Islam, p,2.

(45) Gerald Maclean and Nabil Matar,Britain & The Islamic World 1515-1713 .Oxford .2011.p.128

(46) Ibid.p.128.

(47) American Christians and Islam, Pp,2-3.

(٤٨) خلال المواجهة بين الإسلام والغرب جرى التكريس لرؤية الشرق بوصفه موضعا يتعذر سير غوره، موضعا للغرابة ومثارًا للدهشة، راجع: ضياء الدين ساردار، **الاستشراق، صورة الشرق في التداب والمعارف الغربية**، ترجمة فخري صالح، مراجعة، أحمد خريس، الطبعة الأولى، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ٢٠١٢، ص٢٣.

(49) Ellen G Friedman. Spanish Captives in North Africa in The Early Modern Age. 1983. pp.26-27.

(٥٠) المرجع السابق، ص ١١٥.

(51) Ibed, Pp.30-31.

(52) A door into The Mohammedan World. p.7.

(53) Britain & The Islamic World 1515-1713. p.127.

(54) Britain & The Islamic World 1515-1713. p.32.

(55) Ibed,26.

(٥٦) قرباش بلقاسم، مرجع سابق، ص٢٤١.

(57) Benjamin Hausman, The Prophet, and Common Sense: North Africa and The Early United States, University of South Dakota, 2012.Pp,85-86.

(٥٨) أشرف زيدان، **الأدب الأمريكي في القرن التاسع عشر**، صحيفة دنيا الوطن، ٣ مارس، ٢٠١١.

(٥٩) المرجع سابق، ص١١٢.

(60) Al-Hibri, AzizahY, Islmaic and American Constitutional Law: Borrowing Possibilities or A History of Borrowing, The University of Pennsylvania Journal of Constitutional Law: Vol.1:3.1999. pp.494-5.

(٦١) نفسه، ص.١٣-١٣١.

(٦٢) انتشرت الكتابة عن القصص الشرقية آنذاك، وأحصى البعض العديد من القصص وهى في معظمها قصص قصيرة للتسلية تتحدث عن الولاء – الطموح، ومستوحى بعضها من ألف ليلة وليلة، ومن ثم فإن شخصية المسلم قد بدت طبيعية فلا هو شرير أو غريب الأطوار وشأنه شأن الأوربيين والأمريكيين يواجه معضلات الحياة، وكتبت الليدي وارتلى "إن الأتراك ليسوا على قدر من قلة التهذيب كما نتمثلهم"، الإسلام في الفكر الأوربي، ص١٦٩، وأيضًا.
Glimpses of The Other Before Orientalism.pp.454-455

(63) Ibed,p,457.

(٦٤) فتح الله محمد، **الترجمات الاستشراقية للقرآن الكريم**، دراسة لترجمتي ريجبيس بلاشير وجاك بيرك لمعاني القرآن الكريم إلى الفرنسية، ٢٠١٥، ص٣٤-٣٥.

(65) Ibed,p,15.

(66) Spanish Captives in North Africa in The Early Modern Age, Pp,6-7.

(٦٧) نجيب العقيقى، **المستشرقون**، دار المعارف، ١٩٤٧، ص١٧١.

(٦٨) خالد رزق تقى الدين، المسلمون في البرازيل، دراسة وتحقيق مخطوطة مسلية الغريب بكل أمر عجيب، دار مدارات للنشر، ٢٠١٨.

(69) Ibed.Pp.87-88

(70) Nadia B. Ahmad, Op, Cit, p.916.

(71) Benjamin Hausman, Op, Cit, P,95.

(72) Precious Rasheeda Muhammad, Muslims and Making of America, Muslim Public Affairs Council, 2013. p.15.

(73) John Y.Cole, The Library of Congress a World Library,1815-2005, Libraries & Culture,Vol.40,N.3.pp.385-386.

(٧٤) فاروق عبد المعطى، **توماس جيفرسون، الفيلسوف العالم**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣، ص٣٣.

(75) Precious Rasheeda Muhammad, Op, Cit, Pp,15-16.

(76) Ibed, p,14.

(77) Jeffrey Einboden, "Minding the Koran" in The Civil War America: Islamic Revelation, US Reflections, Journal of Quranic Studies, Vol, 16, N.3.2014.84.108

(٧٨) عبد الباسط بدر، **قطوف من الأدب**، دار الفلاح للنشر والتوزيع، د.ت، ص٤٦، وكانت لأعمال واشنطن إيرفنج الرومانسية حول الأندلس أثرًا على غيره مثل ستانلي لين- بول الذى أبدى إعجابًا شديدًا بالحضارة العربية في كتابه العرب في إسبانيا (The Moors in Spain) الصادر في عام ١٨٨٧ وقد ترجمه على الجارم بعنوان قصة العرب في إسبانيا وصدرت طبعته الأولى في عام ١٩٥٧.

(79) Jane Denison-Furness, Transcendental Mothers; Orienting the American Cultural Hearth, Northern Illinois University,2014, Pp,49-50.

(80) Ibed, Pp,37-39.

(81) Ibed, p,42.

(82) Juan Cole, The Quran, and The Modern Self: A Heterotopia: The Quran Social Research: An International Quarterly, Vol.85, Fall.2018, Pp.563-564.

(83) Jeffrey Einboden, Op, Cit,Pp.90-91.

(84) Ibed, Pp,91-92.

(85) Juan Cole, Op, Cit,p.559.